من نماذج أهل الرحمة

وأهل الرحمة هم المقتدونَ أو المتشبهون بالرجال الحقيقيين ، الذين منهم على سبيل المثال ، لا الحصر :

سيدنا أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه

وهو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال .. وهو الذى صدَّق الرسول ﷺ يوم أن كذّبه الناس .. وكان هذا فى صبيحة الإسراء .. فلقد ذهب إليه أُناس من قريش ، وقالوا له : ما تقول يا أبا بكر فى صاحبك ؟ .. إنه يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ..!

فقال لهم أبو بكر فى ثقة المؤمن المخلص : والله لئن كان قد قال لكم ذلك لقد صدق .. ووالله إنه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ! .. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره الرسول بما وقع له من ذلك الحادث العجيب ، فلم يَزْدَدْ الصِّدِّيق المؤمن إلا إيماناً بالرسول وتصديقاً ، حتى لقد سُمِّىَ منذ ذلك اليوم : « صِدِّيقاً » .

ـ وكان كثيراً ما يتعرض لكفار قريش إذا ما رآهم يقومون بتعذيب أحد الأصحاب الضعفاء ، كما كان يحدث لبلال بن رباح رضي الله عنه ، فلقد رُوى أنه لاقى من « أُميَّة بن خلف » أنواعاً من الأذى ، وألواناً من التعذيب ، لا يصبر

عليها إلا مؤمن قوى الإيمان .. وقد رآه أبو بكر يوماً يقاسى أشد العذاب ؛ فقال لسيده «أُمَيَّة» : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ فقال : أنت أفسدته وفتنته عن دين آلهتنا ، وعبادة أصنامنا .. فعرض عليه أبو بكر ثمناً له ، وما زال يُساومه حتى اشتراه وأعتقه فى سبيل الله ، بعد أن خلصه من تعذيب سيِّده.

وفى هذا نزل قول الله تعالى : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾(١).

والمقصود بكلمة « الأشقى » فى الآية الكريمة هو أُميَّة بن خلف ، و« الأتقى » هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

ـ ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه هو المصاحب لرسول الله ﷺ فى هجرته إلى المدينة المنورة .. تقول أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها : لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر معه ماله كُلَّه « وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف » فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة ـ وقد ذهب بصره ـ فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قلت : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، فأخذت أحجاراً فوضعتُها فى كُوَّة (ثقبة

---

(١) سورة الليل : الآيات (١٤ ـ ٢١) .

فى الحائط) فى البيت ، والتى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذتُ بيده ، فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه ، فقال: لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم . تقول : لا ، والله ما ترك لنا شيئًا ، ولكنى أردتُ أن أُسَكِّنَ الشيخَ بذلك[1] .

ـ وكان هذا هو دَأب أبى بكر ﷺ فى مسارعته إلى الخيرات .. يقول عمر بن الخطاب ﷺ : « أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندى ، فقلت : اليوم أسبقُ أبا بكر إن سبقتُه يوماً ، فجئتُ بنصف مالى ، فقال رسول الله ﷺ : « **ما أبقيتَ لأهلك ؟** » فقلت : مثله . وأتى أبو بكر بكل ماله ، فقال له رسول الله ﷺ : « **ما أبقيتَ لأهلك ؟** » فقال : أبقيتُ لهم الله ورسوله ، فقلت : لا أُسَابِقُكَ إلى شىءٍ أبداً » رواه أبو داود والترمذى وصححه .

عمر بن الخطاب ﷺ

وكان عمر ـ كذلك ـ مثلاً يُحتذى به فى الرحمة بالرعية والرفق بها .. ولقد ورد أنه كان ـ وهو أمير للمؤمنين ـ يحمل الدقيق على ظهره ليطعم الجياع ويُسعد المحرومين .

قال أسلم : خرج عمر وأنا معه ، حتى إذا كنا بصوار (مكان) إذ نار تسعر ، فقال : انطلق بنا إليهم ، فهرولنا حتى دنونا منهم ، فإذا بامرأة معها

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ صـ ٣٣٨ .

صبيان لهـا .. وقدْر منصـــوبة على نـــار وصبـيانهـا يتضاغون[1] ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء (وكره أن يقول : يا أصحاب النار) ، قالت : وعلـيك السلام ، قال : أدنو ؟ قـال : ادن بخيـر .. فقال : مـا بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد . قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : من الجوع . قـال : وأى شيء فى هذه القدر ؟ قـالت : ما لىَ ما أُسـكتهم به حتى ينامـوا ، فأنا أُعَلِّلهم وأوهمـهم أنِّى أصلح لهم شيئاً حـتى يناموا !! الله بيننا وبين عمر .. قـال : أىْ رحمك الله ، ما يدرى بكم عمـر .. قالت : يتولَّى أمرنا ويغفل عنَّا .. قـال أسلم : فأقبل عمر علىَّ وقـال : انطلق بنا . فخرجنا نهرول حـتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عـدلاً فيه كُبَّـة شحم[2] فقـال : احمله على ظهـرى . قال أسلم : فـقلت: أحمله عنك (مـرتين أو ثلاثاً) ، فـقال : أنت تحمل عنى وزرى يوم الـقيامة ؟ فـحملته علـيه فانطلق ، وانطلقت مـعه نهرول حتى أتينا إليـها، فألقى ذلك عندها ، وأخرج من الدقيق شيـئًا ، فجعل يقول لها : ذُرِّى علىَّ وأنا أحس لك ، وجعل ينفخ تحـت القدر ، وكان ذا لحية عظيمـة ، فجـعلت أنظر إلى الدخان من خَلَل لحـيتـه ، ثم أنزل القدر ، فـأتته بصفحتها فأفرغها ، ثـم قال : أطعميهم وأنا أُسطح لك ، فلم يَزَلْ حتى شبعوا ثم خَلَّى عندها فضل ذلك[3] ، وقام ، وقمت معه ، فجعلت تقول : جزاك الله

---

(١) أى : يبكون من شدة الجوع .

(٢) جوال دقيق وإناء به دهن .

(٣) أى : ترك عندها الفائض من الدقيق والدهن .

خيراً ، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين[1] !! فيقول : قولى خيراً ، فإنك إن جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله ، ثم تَنَحَّى ناحيةً ، ثم استقبلها وربض لا يكلمنى حتى رأى الصبية يضحكون ويصطرعون ، ثم ناموا وهدأوا ، فقام وهو يحمد الله !! فقال: يا أسلم ، الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم)[2] .

وعن أبى صالح الغفارى ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء فى بعض حواشى المدينة (أطرافها) من الليل ، فيسقى لها ، ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها ، وجد غيره قد سبقه إليها ، فأصلح ما أرادت ، فجاءها غير مرة ، كيلا يُسْبَقَ إليها ، فرصد عمر من يأتى ، فإذا هو أبو بكر ـ وهو يومئذ خليفة ـ فقال عمر : أنت هو لعمرى (أى : ما كنت أظنه غيرك) رواه ابن عساكر[3] .

ـ وهكذا كان أيضاً :

عثمان بن عفان رضي الله عنه

فلقد كان ـ عليه رضوان الله ـ جواداً تقيّاً ، وفيّاً للعهد ، عطوفاً على الرعية ، متواضعاً ، يوضئ نفسه ، ولا يوقظ الخدم ، وينام فى المسجد حتى تؤثِّر الحصباء فى جسمه ـ وهو خليفة ـ مع نشأته المترفة وثرائه الواسع ،

---

(١) لأنها إلى نهاية هذا الإطعام لم تعرف أنه أمير المؤمنين .

(٢) تاريخ الكامل جـ٣ صـ ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء صـ٨٠ .

وحسبه ﷺ أنه من كُتَّاب الوحى ، وأحد العشرة المُبَشَّرين بالجنة ، وأحد الستة الذين تُوفِّى رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم .. بل وحسبه أن النبى ﷺ قال فى شأنه : « لكل نبى رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان » .

ـ ومن أعظم مآثره ﷺ[1] أنه عندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة فاجأتهم ـ فى بداية استقرارهم بها ـ مشكلة الماء .. وكان بها عين تفيض بماء عذب طيب المذاق ، تُدْعى (بئر رومة) ويملكها رجل يهودى يبيع ملء القربة بِمُدٍّ ..

وتمنى رسول الله ﷺ لو يجد بين أصحابه مَن يشتريها ، حتى يفيض ماؤها على المسلمين بغير ثمن ..

وسارع عثمان ﷺ إلى تحقيق رغبة الرسول ﷺ ، فعرض على اليهودى صاحب البئر أن يبيعها له ، فأبى .. فساومه (عثمان) على نصفها ، واشترى النصف الثانى باثنى عشر ألف درهم ـ على أن تكون لليهودى يوماً ولعثمان يوماً ـ فكان المسلمون يستسقون فى يوم عثمان ما يكفيهم يومين !! وهكذا وجد اليهودى نفسه ، وقد خسر سوقه التى كانت رائجة ، فعاد يعرض على (عثمان) أن يشترى منه النصف الثانى ، فاشتراه .. وفاضت البئر بمائها العذب ، تروى أهل المدينة بغير ثمن ، وبغير حساب .. !!.

ـ وفى العام التاسع الهجرى أراد (هرقل) الإمبراطور الرومانى غزو الجزيرة العربية ، فلما ترامت الأنباء إلى رسول الله ﷺ نادى فى أصحابه

---

(١) كما جاء فى كتاب (خلفاء الرسول ﷺ) للأستاذ خالد محمد خالد ، عليه رحمة الله .

بالتهيؤ للجهاد فى سبيل الله ، وحضَّهم على التبرع ـ كل على قدر طاقته ـ فسارعت النساء بالحُلِىِّ يُقَدِّمْنَه إلى رسول الله ﷺ ليستعينَ به فى إعداد الحملة .. بَيْدَ أنَّ التبرعات التى جُمعت من الرجال والنساء لم تكن لتُغْنِىَ كثيراً أمام المتطلبات الهائلة للجيش الكبير الذى كان يُسَمَّى يومئذ (جيش العُسْرة) .. ولهذا ؛ فقد نظر الرسول ﷺ إلى الصفوف الطويلة العريضة من الذين استعدوا للقتال .. وقال : « مَن يُجَهِّزُ هؤلاء ، ويغفر الله له » .. ؟؟ فما كاد (عثمان) يسمع نداء الرسول هذا ، حتى سارع إلى مغفرة من الله ورضوان ، وقام بتجهيز الجيش كُلِّه ، حتى لم يتركه بحاجة إلى خُطامٍ أو عِقال ..!!

يقول ابن شهاب الزهرى :

« قَدَّم عثمان لجيش العُسرة فى غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بَعيراً ، وستين فَرسًا ، أتمَّ بها الألف » !!

ويقول حُذيفة :

« جاء عثمان إلى رسول الله ﷺ فى جيش العُسرة بعشرة آلاف دينار صَبَّها بين يديه ، فجعل الرسول ﷺ يُقَلِّبُها بيده ويقول : غفر الله لك يا عثمان ما أسْرَرْتَ وما أعلَنْتَ ، وما هو كائن إلى يوم القيامة » .

ويقول عبد الرحمن بن عوف :

« شهدتُ رسول الله ﷺ وقد جاءه عثمان بن عفان فى جيش العُسْرة بسبعمائة أوقية من الذهب » .

ـ وفى خلافة أبى بكر الصديق ﷺ ، قحط الناس ؛ فكان لعثمان ﷺ موقف إنسانى عظيم .. يرويه ابن عباس ﷺ فيقول :

« قحطَ الناس فى زمان أبى بكر ، فقال الخليفة لهم : إن شاء الله لا تُمسونَ غداً ، حتى يأتيكم فرج الله » .

فلما كان صباح الغد ، قدمت قافلة لعثمان[1] ، فغدا عليه التجار ، فخرج إليهم وعليه مُلاءة قد خالَف بين طرفيها على عاتقه .. وسألوه أن يبيعهم قافلته .. « فسألهم : كم تُربحونى .. ؟ قالوا: العشرة اثنى عشر .. قال : قد زادنى .. قالوا : فالعشرة خمسة عشر .. قال : قد زادنى .. قالوا : من الذى زادك ، ونحن تجار المدينة ؟ . قال : إنه الله .. زادنى بكل درهم عشراً ، فهل لديكم أنتم مزيد .. ؟ فانصرف التجار عنه ، وهو ينادى : اللهم إنى وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن ، وبلا حساب » .. !! .

ـ ولقد كان أمير المؤمنين :

علـى بن أبـى طالـب (كرم الله وجهه)

وهو رابع الخلفاء الراشدين ـ كذلك ـ مثلاً يُحتذى به فى الرحمة والشفقة بالرعية .. وحسبى ـ قبل أن أقف مع الأخ المسلم والأخت المسلمة على بعض مآثره ـ أن أقرأ معهما أولاً تلك القصة الموضوعية التى

---

(١) وكانت آتية من اليمن أو من الشام ، محملة بالخيرات .

قرأتها[1] تحت عنوان :

الإنفاق والبذل فى سبيل الله

فلقد جاء فيها أنه كان فى بيت على بن أبى طالب رضي الله عنه خمس من الأنفس ـ على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والحارث ـ لم يذوقوا فى ليلتهم طعاماً ، فباتوا على الطَّوى .. وما أن أصبحوا حتى دفعت فاطمة ـ رضي الله عنها وعن جميع أهل البيت ـ رداءها إلى على ليبيعه ويشترى بثمنه طعاماً .. فباعه بستة دراهم .. وبينما هو فى الطريق إلى السوق لكى يشترى الطعام .. إذ به يمر ـ وبدون قصد ـ على جماعة أوشكوا هم أيضاً على الهلاك من شدة الجوع .. فآثرهم على نفسه وأهله ، وأعطاهم الدراهم الستة .. ثم اتجه بعد ذلك إلى بيته علَّه يجد شيئاً آخر ليبيعه ويشترى طعاماً بثمنه .. ولكن الله تبارك وتعالى ـ وهو العليم بما كان منه من إيثار وشفقة ـ أرسل إليه مدَداً من عنده ؛ فقد أقبل عليه رجل فى يده ناقة .. وبعد أن ألقى السلام عليه .. قال له : يا أبا الحسن ألك فى شراء هذه الناقة ؟ فقال له على : أجل[2] ، لو كان معى ثمنها . فقال الرجل : خذها نسيئةً[3] إلى أن يأتيك الفرج إن شاء الله .. فقال له على : وبِكَمْ تبيعُها لى ؟ قال : بمائة درهم .. فاشتراها على وأخذ بزمامها .. وبعد أن انطلق بها قابله رجل آخر ، فقال له : أتبيع هذه الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : نعم .. فقال له الرجل : بكم اشتريتَها ؟ قال : بمائة

---

(١) فى كتاب (العظات البالغات) لفضيلة الشيخ عبد الناصر فاضل على ، رحمه الله ، بتصرف وإضافات يسيرة .

(٢) أى : نعم .

(٣) أى : بثمن مؤجل .

درهم .. فقال له الرجل : أنا أشتريها منك بربح ستين درهماً .. فباعها له .. وبعد أن دفع إليه الرجل المائة والستين درهماً .. انطلق سيدنا على ـ قاصداً بيته ـ فلقيه الرجل الأول ، ثم سأله: أين الناقة يا أبا الحسن ؟ فقال له : لقد بعتُها .. فقال له الرجل : فأعطنى حَقِّى إذاً .. فدفع إليه المائة ، وبقى معه الستون .. ثم هرول على بعد ذلك إلى بيته وصبَّ المال ـ أو الدراهم الستين ـ فى حجر السيدة فاطمة الزهراء ، وهو يقول لها فى بهجة وسرور : لقد تاجرتُ مع الله بستة دراهم ؛ فأعطانى ستين ، بكل درهم عشرة دراهم .. فقالت له : لن نأكل من هذا المال ، حتى نعرض الأمر أولاً على رسول الله ﷺ .. ثم انطلقتْ معه إلى رسول الله ﷺ ، فلما كانا بين يديه .. أخبره سيدنا على بالقصة من أولها إلى آخرها ؛ فقال له الحبيب المصطفى ﷺ : « أَبْشِرْ يا على .. لقد تاجرتَ مع الله تعالى فأربحك .. فالبائع كان جبريل ، والمشترى ميكائيل ، والناقة مركب فاطمة فى الجنة .. ثم قال : يا على .. لقد أُعطيتَ ثلاثاً لم يُعطها غيرك : لك زوجة سيدة نساء أهل الجنة ، ولك ولدان سيِّدا شباب أهل الجنة ، ولك صِهر هو سيد المرسلين .. فاشكر الله على ما أعطاك ، واحمده فيما أولاك » .

فهذه القصة ـ فى بساطتها ـ تشير إلى معدن سيدنا على ـ كرم الله وجهه ـ وأنه كان أهلاً لأن يكون زوجاً للزهراء ابنة الرسول ﷺ .. هذا بالإضافة إلى مآثره العظيمة التى جاءت فى وصف ضرار الصُّدائى له .. وكان هذا بعد استشهاده رضي الله عنه .. يوم أن قال معاوية رحمه الله لضرار ـ الذى كان يعلم حُبَّه الشديد لسيدنا على رضي الله عنه ـ :

ـ « يا ضِرارُ صِفْ لى عَلِيّاً .. فيقول ضرار : أعفنى يا أمير المؤمنين .. فيقول له معاوية : لتصفنَّه .. فيقول ضرار : أَمَا إذ لا بُدَّ من وصفه .. فكان والله بعيد المدى ، شديدَ القُوى يقول فصلاً، ويحكم عدلاً ، يتَفجَّر العلمُ من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه .. يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزيرَ العَبْرة[1] ، طويل الفكرة ، يُقلِّب كَفَّه ، ويُخاطبُ نفسه .. يُعجبه من اللباس ما قَصُر ، ومن الطعام ما خَشُنَ ، وكان فينا كأحدنا .. يُجيبُنا إذا سألناه ، ويُنْبِئُنا إذا استنبأناه .. ونَحن ـ مع تقريبه إيَّانَا ، وقُربه منَّا ـ لا نكاد نُكَلِّمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته .. يُعَظِّمُ أهلَ الدين ، ويُحِبُّ المساكينَ .. لا يطمع القوى فى باطله ، ولا يَيْأسُ الضعيفُ من عدله ..

ثم بعد ذلك يقول ضرار : وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليلُ سُدُولَهُ، وغارت نجومُه ، وقد مَثَل فى محرابه .. قابضاً على لحيته، يَتَمَلْمَلُ تَمَلمُلَ السليم[2] ، ويبكى بُكَاء الحزين ، ويقول : يا دُنيا غُرِّى غيرى .. أليَ تعرَّضْتِ ، أَمْ إليَّ تشَوَّقْتِ .. هيهات ، هيهات .. قد بايتُكِ ثَلاثاً لا رجعة فيها[3] .. فعمرك قصير ، وخَطَرُكِ[4] حقير .. آه من قِلَّة الزاد وبُعْد السَّفر ، ووَحْشَة الطريق .

---

(١) أى : غزير الدموع .

(٢) أى : يتألم تألم الملدوغ .

(٣) أى : قد طلقتك طلاقاً لا رجعة بعده .

(٤) الخطر : أى : القدر والمنزلة .

فبكى مُعَاوِيَةُ .. وقال : رحم الله أبا الحسَنِ ؛ فلقد كان كذلك .. فكيف حُزنُك عليه يا ضِرار ؟ فيقول ضِرار : «حُزنى عليه كحُزنِ مَن ذُبِحَ واحِدُهَا فى حِجْرِهَا »[1] .

ـ ومن إيمانه وتقواه : أنه كان ـ عليه رضوان الله ـ يتحرَّج من الشبهات .. فلا يأكل غالباً غير الشعير ، ويختم بنفسه الجِرابَ الذى فيه الدقيق قائلاً : لا أُحِبُّ أن يدخل بطنى إلاَّ مَا أعلم ..

ودخل عليه رجل فى يوم عيد الفطر ، فوجده يأكل خُبزاً فيه خُشونة .. فقال له : يا أمير المؤمنين .. يومُ عيد وخُبزٌ خشِن[2] ؟!! فيقول له ـ عليه رضوان الله ـ :

« اليوم عيدُ من قُبِلَ بالأمسِ صيامه وقيامه .. عيدُ مَن غُفِر ذنبه ، وَقُبِلَ صومه .. اليوم لنا عيد ، وغداً لنا عيد ، وَكلُّ يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد » .

ـ ولهذا كان ـ عليه رضوان الله ـ فى عيد مستمر ؛ لأنه كان من المطيعين لله ورسوله ﷺ على الدوام .. على أساسٍ من الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام ..

وأما عن خامس الخلفاء الراشدين ، وهو :

---

(١) أى : كحزن من ذُبِح ولدها الوحيد فى حجرها .

(٢) يريد أن يقول له : أحتَّى فى يوم عيد الفطر تأكل خبزاً خشناً .. ؟!!

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

فلقد كان كالخلفاء الأربعة فى الورع والزهد والشفقة والرحمة .. بتلك الصورة التى ترويها لنا زوجته (فاطمة بنت عبد الملك) فتقول[1] :

« دخلتُ عليه يوماً ، وهو جالس فى مُصَلاَّه ، واضعًا خَدَّه على يده ، ودموعه تسيل .. فقلت له : ما بالُك ، وفيم بُكاؤك .. ؟ فقال : ويحك يا فاطمة .. إنى قد وُلِّيتُ من أمر هذه الأمة ما وُلِّيت .. ففكَّرتُ فى الفقير الجائع، والمريض الضائع ، والعارى المجهود ، واليتيم المكسور ، والمظلوم المقهور ، والغريب ، والأسير ، والشيخ الكبير ، والأرملة الوحيدة ، وذى العيال الكثير والرزق القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمتُ أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم يومئذ محمد ﷺ فخشيتُ أن لا تثبت لى حجة ، فلذلك أبكى » .

ـ كما تقول أيضاً (فاطمة) زوجته :

« لقد كان يذكر الله فى فراشه ، فينتفض انتفاضة العصفور من شدة الخوف ، حتى أقول : ليُصبحنَّ الناس ولا خليفة لهم » ! .

ـ وتقول أيضاً .. وقد سُئِلَتْ عن عبادته ؟ :

---

(١) كما جاء فى كتاب (خلفاء الرسول ﷺ) للأستاذ خالد محمد خالد .. عليه رحمة الله.

« والله ما كان بأكثر الناس صلاة ، ولا أكثرهم صياماً .. ولكنى والله ، ما رأيت أحداً أخوف من الله منه » .. !!

ـ ودخل عليه (محمد بن كعب القرظى) بعد استخلافه .. وقد نحل جسمه ، وعفا شعره ، وتغيَّر لونه .. ثم أخَذَ ينظر إليه .. وهو يتذكر ما كان مُميَّزاً به قبل ذلك من حسن الجسم ، وامتلاء البضعة .. فلما رآه عمر يطيل النظر إليه ـ بتلك الصورة المشار إليها ـ قال له : يا بن كعب .. ما لك تنظر إلىَّ نظراً ما كنتَ تنظره إلىَّ من قبل .. ؟ يقول ابن كعب : فقلت : لعجبى يا أمير المؤمنين !! قال : ومِمَّ عجبك ؟ فيقول له : مِمَّا نحل من جسمك ، وعفا من شعرك ، وتغير من لونك .. أين ذلك اللون النضير ، والشعر الحسن ، والبدن الريان .. ؟! فقال له عمر ﷺ : إنك ـ إذن ـ لأشد عجباً من أمرى ، وإنكاراً لى ، لو رأيتنى ـ بعد ثلاث ـ فى قبرى ، وقد وقعت عيناى على وَجْنتىَّ ، وسكن الدود منخرى وفمى !! ثم راح يبكى ويبكى!!.

ـ ولقد كان ﷺ وأرضاه دائم الترداد لهذه الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1] ، فكان يتخذ منها نذيراً يُلهب به نفسه لتبلغ بإخلاصها لربه ولدينه ولمسئوليته أقصى ما يستطيع أولو العزم الراشدون .. وكان يدرك بنور بصيرته أن أدنى مجاملة

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٦ .

على حساب إخلاصه لمسئوليته إنما هو شِرْكٌ متَنَكِّرٌ وخَفِىٌّ ، من نوع ذلك الشرك الذى حَذَّر الرسول ﷺ أصحابه منه ، مخبراً أن له دبيباً كدبيب النمل .

وكان ـ عليه رضوان الله ـ كجده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى العدل .. وقول الحق ـ ولو كان مُراً .. لدرجة ـ كما يقولون ـ أن الذئب فى عصره .. كان يقف بجوار الشاة فلا يؤذيها .. ثم يوم أن أكل الذئب الشاة .. قال الناس : مات أمير المؤمنين .

ـ فَرَضِىَ الله عن الخلفاء الراشدين أجمعين .. ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .. اللهم آمين .

***

obeikandl.com

كلمة الختام

هذا .. ولما كان خلق الرحمة بالإنسان والحيوان هو أهم خلق ينبغى على الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يتميَّزا به ـ بصفة خاصة ـ حتى يكونا ـ بسببه كذلك ـ من الذين سيرحمهم الله تبارك وتعالى .. بدليل قول الحبيب المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « **الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا مَن فى الأرض يرحمكم من فى السّماء** »(١) .

ـ فقد رأيت فى ختام هذا العرض السريع لكل تلك الصفات الحميدة التى بها أو بسببها سنكون ـ إن شاء الله تعالى ـ أهلاً لرحمة الله تبارك وتعالى ـ كما جاء فى القرآن والسنة ـ رأيت أن أُذكِّر الأخ المسلم ، والأخت المسلمة ، ببعض الأحاديث الشريفة الواردة فى كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى(٢) ، تحت عنوان:

* **الترغيب فى الشفقة على خلق الله تعالى من الرعية والأولاد والعبيد وغيرهم ورحمتهم والرفق بهم .. والترهيب من ضد ذلك .. حتى بالنسبة للحيوان ..**

---

(١) رواه أبو داود والترمذى بزيادة وقال : حديث حسن صحيح .. والحديث وارد عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٢) ج٣ صفحة ٣٥١ وما بعدها ، بالإضافة إلى الهامش .. بتصرف .

ـ فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن لا يرحمِ الناسَ لا يرحمْهُ اللهُ** » رواه البخارى ومسلم والترمذى ، ورواه أحمد وزاد : «**ومَن لا يَغفر لا يُغْفَر له** » وهو فى المسند أيضاً من حديث سعد بإسناد صحيح

يعنى : أن من قسا على عباد الله فلم يرحم من يحتاج إلى الرحمة من الضعفاء والأرامل واليتامى والبؤساء والمرضى وذوى العاهات ونحوهم .. فإن هذا ـ أو مثل هذا ـ لا تناله رحمة الله يوم القيامة .. وكذلك من لا يغفر للمسىء هفوته ويتجاوز عن إساءته لا يغفر الله له ذنبه .

ـ وعن أبى موسى رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **لن تؤمنوا حتى تراحموا** » قالوا : يا رسول الله : كلنا رحيم ؟ قال : « **إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه**[1]**، ولكنها رحمة العامّة** »[2] رواه الطبرانى ، ورواته رواة الصحيح.

يعنى : لن يكمل إيمانكم حتى يرحم بعضكم بعضاً ، كما قال تعالى فى وصف أصحاب نبيه ﷺ : ﴿ **وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾[3] .

---

(١) أى : قريبه أو صديقه .

(٢) أى : رحمة كل من يحتاج إلى الرحمة من خلق الله .

(٣) سورة الفتح : من الآية ٢٩ .

ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من لا يَرْحَمِ الناسَ لم يَرْحَمْهُ الله » رواه الطبرانى بإسناد حسن .

ـ وعن جرير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من لا يَرْحَمْ مَنْ فى الأرض لا يَرْحَمهُ مَن فى السماء » رواه الطبرانى بإسناد جيد قوى .

يعنى : مَن لا يرحم عباد الله الذين فى الأرض لا يرحَمهُ الله الذى فى السماء .

ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « ارحموا تُرحَموا، واغفروا يُغْفَرْ لكم ، ويلٌ لأقماع القول[1] ، ويل للمُصِرِّين الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهم يَعلَمُون » رواه أحمد بإسناد جيد .

ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « ليسَ مِنّا[2] مَنْ لم يُوقِّرِ الكبيرَ[3] ، ويَرحمِ الصغيرَ[4] ، ويأمُرْ بالمعروفِ ، ويَنْهَ عن المُنْكَرِ » رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه .

---

(١) قال فى النهاية : « الأقماع : جمع قمع كضلع ، وهو الإناء الذى يترك فى رءوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة والأدهان ، شَبَّهَ أسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ولا يحفظونه ولا يعملون به بالأقماع التى لا تعى شيئًا مما يفرغ فيها ، فكأنه يمر عليها مجازاً كما يمر الشراب فى الأقماع اجتيازاً » أ . هـ .

(٢) أى : ليس على هدينا الكامل وطريقتنا المرضية .

(٣) يعنى : يعظمه ويحترمه لكبر سنه .

(٤) أى : الذى لا يزال ضعيفاً محتاجاً إلى الرحمة .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت الصادقَ المصدوقَ صاحبَ هذه الحجرة أبا القاسم ﷺ يقول : « **لا تُنزَعُ الرحمةُ إلا من شَقِىٍّ** » رواه أبو داود ، واللفظ له ، والترمذى ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن ، وفى بعض النسخ : حسن صحيح .

قال **العلقمى** : « إلا من قلب شقى ، وهو ضد السعيد ، وهو إشارة إلى الشقاء فى الآخرة ، وقد يكون فى الدنيا .. » ورواية الترمذى : « من لم يرحم الناس لا يرحمه الله ، ومن لم يرحمه فهو شقى » .

ـ وعن نصيح العَنْسِىِّ عن ركْب المصرىِّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **طوبى**(١) **لمن تواضَعَ فى غير مَنْقَصَةٍ**(٢) ، **وذَلَّ فى نفسه من غير مسألةٍ**(٣) **وأنفق مالاً جمعه فى غير معصيةٍ**(٤)، **ورَحِمَ أهلَ الذِّلّةِ والمسكنة**(٥)، **وخالط أهل الفقه والحكمة** .. »(٦) الحديث . رواه الطبرانى ، ورواته إلى نصيح : ثقات .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قَبَّل رسول الله ﷺ الحسنَ أو الحسين(٧)

---

(١) أى : العافية الطيبة وهى الجنة ، وقيل : هى شجرة فى الجنة ، يسير الراكب فى ظلها مائة عام .

(٢) أى : فى غير دناءة وخسَّة واتضاع .

(٣) أى : من غير أن يذِّل نَفسَه بسؤال أحد من الناس .

(٤) بل أنفقه فى طاعة الله وفى اللذات المباحة .

(٥) أى : وغيرهم من كل من يستحق الرحمة .

(٦) وذلك ليأخذ عنهم ويتعلم منهم .

(٧) أو ـ هنا ـ للشك فى أيهما قبله رسول الله ﷺ .

ابن عَلِيٍّ ﷺ أجمعين وعنده الأقرع بن حابسٍ التَّيْمِيُّ[1] ، قال الأقرع : إن لى عشرةً من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً قطُّ ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « **مَن لا يَرْحم لا يُرحم** » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ، وفى بعض الروايات أنه قال له : « **وماذا أملك لك إذا كان الله قد نزع الرحمة من قلبك** » .

ـ وعن عائشة ﷺ قالت : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إنكم تُقبِّلون الصِّبيانَ وما نُقبِّلهم ؟[2] فقال رسول الله ﷺ : « **أَوَ أملِكُ لك أن نزع الله الرحمة من قلبك** » . رواه البخارى ومسلم .

ـ وعن معاوية بن قُرَّةَ عن أبيه ﷺ أن رجُلاً قال : يا رسول الله إنِّى لأرحم الشَّاةَ أن أذبَحها[3] ، فقال : « **إنْ رَحِمْتَها رَحِمَكَ الله** »[4] رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، والأصبهانى ولفظه قال : يا رسول الله إنِّى آخذ شاةً وأريد أن أذبَحها فأرحمها ، قال : « **والشاة إن رحمتَها رحمك الله** » .

وهذا يعنى : أن الله تعالى يُثيبُ على رحمة الحيوان كما يثيب على رحمة الإنسان .

---

(١) وهو رجل أعرابى من البادية .

(٢) وهذا من جفاء الأعراب وغلظتهم .

(٣) يعنى : لا أجرؤ على ذبحها رحمة بها .

(٤) وهذا دليل على وجوب رحمة الحيوان .

ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أضجع شاةً[1]، وهو يُحدُّ شفرته[2] ، فقال النبى ﷺ : « **أتريدُ أن تُميتَها موتَتَيْنِ**[3] ، **هَلاَّ أحْدَدْتَ شَفْرتَك قبل أنْ تُضْجِعَها** »[4] رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والحاكم ، واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط البخارى .

ـ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **ما مِن إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها**[5] **بغير حقها إلاَّ يَسأل الله عنها يوم القيامة**[6] ، **قيل : يا رسول الله : وما حقها ؟ قال : حقها أن تذبَحها فتأكُلَها**[7]، **ولا تقطعَ رأسها فترمِيَ بـه** »[8] رواه النسائى والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

ـ وعن الشَّرِّيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَن قتل عصفوراً عبثاً**[9] **عَجَّ إلى الله يوم القيامة**[10] **يقول : يا رب إن فلاناً قتلنى عبثًا ، ولم يقتلنى منفعةً** » رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

---

(١) أى : أنامها على جنبها استعداداً لذبحها .

(٢) أى : يشحذها ويرققها .. والشفرة : أى : السِّكين .

(٣) وذلك لأنها تحس أن تلك السكين إنما تُحَدُّ لذبحها فتتمثل الموت فكأنها ماتت قبل موتها .

(٤) أى : قبل أن تنيمها على جنبها .

(٥) أى : فما هو أكبر حجماً منها كالحمامة ونحوها .

(٦) أى : يسأل الله سبحانه عن سبب قتلها .

(٧) وذلك لأنها خُلقت من أجل الانتفاع بلحمها .

(٨) أى : تلقيها ولا تنتفع بها .

(٩) أى : بلا فائدة ولا غرض صحيح .

(١٠) أى : رفع صوته بالشكوى إلى الله يوم القيامة .

ـ وعن ابن مسعود ﷺ قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمَّرَةً[1] معها فرخان ، فأخذنا فرخَيْهَا ، فجاءت الحُمَّرة فجعلتْ تُعَرِّشُ[2] ، فجاء النبى ﷺ فقال : « مَن فجعَ هذه بولدَيْهَا ؟[3] رُدُّوا ولديها إليها » ورأى قرية نَمْل[4] قد حرقناها ، فقال : « مَن حَرقَ هذه ؟ قلنا : نحن ، قال : إنه لا ينبغى أن يُعذِّبَ بالنار إلا ربُّ النار »[5] رواه أبو داود .

ـ وعن عبد الله بن جعفر ﷺ قال : أردفنى رسول الله ﷺ خلفه ـ ذات يوم[6] ـ فأسَرَّ إلىَّ حديثًا لا أُحَدِّث به أحدًا من الناس ، وكان أحبُّ ما استتر به النبى ﷺ لحاجته[7] هدفًا[8] ، أو حايشَ من نَخْلٍ[9] ، فدخل حائطًا[10]

---

(١) وهى طائر أحمر اللون ، وجمعه : حُمَّر بتشديد الميم .

(٢) أى : ترتفع وتُظلِّل بجناحيها فوقهم حزناً على فرخيها .

(٣) أى : من آلمها وأحزنها بسلب ولديها منها .

(٤) وهى موضع النمل مع النمل .

(٥) فنرجو أن نلاحظ هذا بالنسبة لجميع الحشرات ، والتى منها البق مثلاً .. كما يفعل بعضهم .

(٦) أى : أركَبَهُ خلفه على الدابة .

(٧) أى : عند قضاء حاجته ، من بول أو غائط .

(٨) وهو كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل .

(٩) وهى النخل المجتمعة المتقاربة .. وهذا من آداب قضاء الحاجة .

(١٠) والحائط هو البستان .

لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جَمَلٌ ، فلما رأى[1] النبيَّ ﷺ حَنَّ[2] وذرفت عيناه[3]، فأتاه رسولُ الله ﷺ ، فمسَحَ ذِفْراه[4] ، فسكت ، فقال : « **مَن رَبُّ هذا الجمل ؟[5] لمن هذا الجمل ؟** » فجاء فتًى من الأنصار ، فقال: لى يا رسول الله ، فقال : « **أفلا تَتَّقى الله فى هذه البهيمة التى ملَّكَكَ الله إياها ، فإنه شكَا إلىَّ أنك تُجيعُه(٦) وتُدْئبُه** »[7] رواه أحمد وأبو داود .

ـ وعن سهل بنِ الحنظلية رضي الله عنه قال: مَرَّ رسول الله ﷺ ببعير قد لَصِقَ ظهره ببطنه[8] ، فقال : « **اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة(٩)، فاركبوها صالحةً ،وكُلُوها صالحةً** »[10] رواه أبو داود ، وابن خزيمة فى صحيحه ، إلا أنه قال : « **قد لَحِقَ ظهرُهُ** »[11] .

---

(١) أى : فلما رأى الجملُ رسولَ الله ﷺ .

(٢) أى : بكى بصوت فيه حنين .

(٣) يعنى : سال دمعهما .

(٤) وهو العظم الذى خلف الأذن .

(٥) يعنى : من صاحبه ؟.

(٦) أى : لا تعطيه كفايته من الطعام .

(٧) أى : تتعبه فى العمل .

(٨) وذلك من شدة الجوع فهزل وضعف .

(٩) أى : الخرساء التى لا تستطيع الشكوى بالكلام .

(١٠) يعنى : أعطوها حقها من العلف والطعام لتسمن وتقوى فتصبح صالحة للركوب والذبح .

(١١) أى : بدل قوله : « قد لصق ظهره » .

ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **دخلت امرأةٌ النارَ(١) فى هِرّةٍ رَبطتْها(٢) ، فلم تُطعمْها ، ولم تَدَعْها(٣) تأكل من خَشَاشِ الأرض**»(٤) وفى رواية: « **عُذِّبَتِ امرأةٌ فى هِرّةٍ سجنتها حتى ماتت ، لا هى أطعمتها وسقَتْها ، إذ هى حَبَسَتْهَا ، ولا هى تركتها تأكل مِن خُشاش الأرض** » رواه البخارى وغيره ، ورواه أحمد من حديث جابر ، فزاد فى آخره : « فَوَجَبَتْ لها النار بذلك » .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **دنا رجلٌ إلى بئرٍ فنزل ، فشرب منها(٥) ، وعلَى البئرِ كَلْبٌ يَلْهَثُ(٦) ، فَرَحِمَهُ(٧) ، فنزع أحد خُفَّيْهِ(٨) فسقاه ، فشكر الله له(٩) ، فأدخله الجنة** » رواه ابن حبان فى صحيحه، ورواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود .. أطول من هذا .

---

(١) قيل : معناه : تدخل النار بصيغة الماضى لتحقيق الوقوع .

(٢) أى : بسبب هرة ربطتها وأرادت تعذيبها بذلك ، وفى رواية للبخارى :(حبستها) .

(٣) أى : تتركها .

(٤) أى : من حشراتها .. والعصافير ونحوها .

(٥) وكان قد اشتد به العطش .

(٦) يعنى : أنه لما خرج من البئر وجد كلباً يلهث ويخرج لسانه من شدة العطش ، فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى ..

(٧) يعنى : رقَّ له .

(٨) يعنى : أخرجه من رجله وملأه بالماء .

(٩) أى : أثابه على رحمته بذلك الحيوان الأعجم .

ـ وعن المَعْرُورِ بن سُوَيْد ﷺ قال : رأيتُ أبا ذَرٍّ بالرَّبَذة[1] ، وعليه بُرْدٌ غليظٌ، وعلى غلامه مثلُه . قال : فقال القومُ : يا أبا ذَرٍّ لو كُنْتَ أخذتَ البُرْدَ الذى على غُلامكَ ، فجعلتَه مع هذا ، فكانت حُلَّةً[2] ، وكسوتَ غُلامَكَ ثوبًا غيره ؟ قال : فقال أبو ذَرٍّ : إنِّى كنتُ سابَبْتُ رجُلاً[3] ، وكانت أُمُّهُ أعْجميَّةً فعيَّرتُه بأُمِّه[4] ، فشكانى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « **يا أبا ذَرٍّ : إنك امرؤ فيك جاهلية**[5] ، **فقال : إنهم إخوانكم فضَّلكُم الله عليهم**[6] ، **فمن لم يُلائمكُم**[7] **فبيعوه ، ولا تُعذِّبُوا خلق الله** » رواه أبو داود ، واللفظ له ، وهو فى البخارى ومسلم والترمذى بمعناه ، إلا أنهم قالوا : « هم إخوانكم[8]، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعل الله أخاه تحت يده ، فَلْيُطعِمْهُ مما يأكل ، ولْيُلْبِسْهُ مما يلبس ، ولا يُكَلِّفُهُ من العمل مايَغلِبُهُ ، فإن كَلَّفَهُ فَلْيُعِنْهُ عليه » واللفظ للبخارى.

---

(١) بالتحريك : قرية قرب المدينة أقام بها أبو ذر ﷺ ومات بها .

(٢) أى : ثوباً كاملاً .

(٣) أى : شاتمه ، وهذا الرجل هو بلال ﷺ .

(٤) وفى رواية أنه قال له : « يا ابن السوداء » .

(٥) أى : فيك بقايا ورواسب من أنفة الجاهلية .

(٦) أى : كما قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ (سورة النحل ، من الآية ٧١) .

(٧) أى : يوافقكم فى الطاعة وحسن الخدمة ونحو ذلك .

(٨) وفى رواية : (إخوانكم خولكم) أى : عبيدكم وإماؤكم الذين يتخولون الأمور ، أى : يُصلحونها .

وفى رواية للترمذى: « إخوانكم جعلهم الله فتيتكم[1] تحت أيديكم[2] ، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعمه من طعامه ، وليُلبِسْهُ من لباسه ، ولا يُكَلِّفه ما يغلبُه ، فإن كلَّفَه ما يَغْلِبُه فليُعِنْه عليه » .

وبهذا .. يتأكد لنا جميعاً حرص الإسلام ورسول الإسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على أن يكون هناك تراحم بيننا نحن المسلمين والمسلمات ـ أيّاً كان وضعنا أو شأننا الدنيوى ـ وكذلك من جانبنا بالنسبة للحيوانات التى لا بد أن نلاحظ أنها تحس كما نحس ، وتتألم كما نتألم .. بالإضافة إلى أن لها طاقة لا بد أن نتعامل معها على أساسها ؛ حتى لا نكون لها أو لغيرها من الظالمين الذين سيُقتصُّ منهم يوم القيامة أمام جميع المخلوقين ، إظهاراً لعدل الله تبارك وتعالى ..

كما يشير إلى هذا المعنى المراد من الحديث الصحيح الذى يقول فيه الرسول ﷺ : « من لا يَرحم لا يُرحم » ، وقد يُعذَّبُ فى نار جهنم كما عُذِّبت المرأة التى دخلت النار فى هِرَّةٍ سجنتها حتى ماتت .. كما قرأنا قبل ذلك فى نص الحديث .. والله أعلم .

ـ كما تأكد لنا كذلك من خلال ما وقفنا عليه أن الحبيب المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان كما تحدث الله عنه فى قرآنه : ﴿ رَحْمَةً

---

(١) جمع فتى ، وهو العبد ، ويطلق على الغلام الحدث ، أى : الصغير .

(٢) أى : مملوكين لكم .. والمراد بهم كذلك : الخدم .

لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] .. ولهذا ؛ فقد حدث ـ بعد أن مات عمه أبو طالب ، ثم السيدة خديجة رضي الله عنها وبعد أن اشتد إيذاء الكفار له ولأصحابه الضعفاء ـ أن ذهب صلوات الله وسلامه عليه إلى الطائف[2] عَلَّه يجد من قبيلة ثقيف ـ وهى أهم قبائل العرب بعد قريش ـ مَن ينصره ويؤازره .. ولكن ـ للأسف الشديد ـ لم يجد منهم إلا الجحود والإعراض، والسخرية والاستهزاء ، حتى لقد أغروا به عبيدهم وسفهاءهم يسبُّونه ويصيحون وراءه ، ويقذفونه بالحجارة ، حتى ابتعد عن الطائف ، ولجأ إلى حديقة مملوكة لعُتبة وشيبة ابنى ربيعة ، فاحتمى بها وجلس فى ظل شجرة من أشجارها ، وقد أجهده التعب ، ودميت عقبه ، وضاق صدره ، واشتد به الكرب والبلاء ، ثم لجأ إلى الله بهذا الدعاء :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين . أنت ربُّ المُسْتضعفين ، وأنت ربِّى . إلى مَن تَكِلُنى ؟ إلى بعيد يتجهَّمُنى ؟ أَمْ إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أمرى ؟ إن لم يكن بك غَضَبٌ عَلَىَّ فلا أُبالِى ، ولكنَّ عافيتَكَ هى أوسع لى .. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تُنزِل بى غضبك ، أو يَحِلَّ علىَّ سخطك . لك العُتْبَى[3] حتى ترضى . ولا حول ولا قوةَ إلا بك» .

---

(١) سورة الأنبياء : من الآية ١٠٧ .

(٢) وهى تبعد عن مكة نحو الخمسين ميلاً ..

(٣) العتبى : الرضا .

وقد ورد أنه ـ بعد أن دعا النبى ﷺ بهذا الدعاء العظيم ـ أرسل الله إليه الملك المُوَكَّل بالجبال ليقول له : لقد أمرنى الله أن أُطيعك فى قومك فإن أردتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين[1] ..

ولكن النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يطلب من الملك أن يفعل هذا ، أو مثل هذا .. ولم يأمره ـ مثلاً ـ بأن يجعل عاليها سافلها .. ولم يدعِ كما دعا سيدنا نوح على قومه قائلاً : ﴿ **رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** ﴾[2] .

وإنما كل ما حدث منه صلوات الله وسلامه عليه .. هو أنه جفَّفَ دموعه .. ثم قال قولته الخالدة خلود الزمان : « **اللهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون .. عسى الله أن يُخرج من أصلابهم من يقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله** » .

فيتعجب الملك ـ الذى كان ينتظر منه عكس هذا ـ ثم يقول مخاطباً إياه ﷺ : « **صدقَ مَنْ سَمَّاكَ الرءوفَ الرَّحيمَ** » ، والمَلَكُ يعنى ـ بقوله هذا ـ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[3].

---

(١) هما جبلان بمكة .

(٢) سورة نوح ، الآية ٢٦ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

ولولا هذه الدعوة ، لما كان أبطال الإسلام الأوائل الذين دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب ، وكان فضل الله عليهم عظيماً .. بل لما كنا ـ نحن المؤمنين ـ كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ـ وكذلك ما حدث فى العام الثامن للهجرة ، وبعد أن تم فتح مكة فى اليوم العشرين من رمضان :

لقد اجتمع الناس حول رسول الله ﷺ ـ وكان منهم من ائتمروا به ليقتلوه ، ومن قاتلوه فى بدر ، وفى أُحُد ، وحاصروه فى غزوة الخندق ، وعذبوه وأصحابه ـ فقد نظر إليهم جميعاً وهم فى قبضة يده .. ثم قال لهم : « **ما تظنون أنّى فاعل بكم ؟** » قالوا : خيراً .. أخ كريم وابن أخ كريم .. فقال : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ..** » .

فكانت النتيجة الحتمية لهذا العفو الشامل أن دخل أكثرهم فى دين الله أفواجاً[1] .

ـ فليكن كل هذا التذكير متربعاً على قلوبنا ـ بالإضافة إلى ما سبق التذكير به ـ حتى نحرص دائماً وأبداً على أن نكون أهلاً لرحمة الله .. بتنفيذنا

---

(١) كما يشير إلى هذا قول الله تعالى فى سورة النصر : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢** ﴾ .

لكل تلك الصفات الحميدة ، والأعمال الجليلة ، التى هى السبيل ـ كما عرفنا، وكما وقفنا ـ إلى فضل الله تعالى ورحمته.. مع ضرورة الاستعانة على تحقيق هذا الأمل المنشود بالدعاء الذى « هو العبادة »[1] ، ولا سيَّما إذا كان الله تعالى هو الذى يأمرنا بالدعاء، فيقول : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2] .

ـ وليكن الدعاء بمثل هذا الوارد الصحيح :

ـ عن طارق بن أشيم رضي الله عنه قال : كان الرجل إذا أسلم علَّمه النبى ﷺ الصلاةَ ثم أمره أن يدعُو بهؤلاء الكلمات : « **اللهم اغفر لى ، وارحمنى ، واهدنى ، وعافنى ، وارزقنى** » رواه مسلم ، وفى رواية له ، عن طارق أنه سَمِعَ النبىَّ ﷺ أنه أتاه رجلٌ ، فقال : يا رسول الله كيف أقولُ حين أسأل ربى ؟ قال : « **قل : اللهم اغفر لى ، وارحمنى ، وعافنى ، وارزقنى ، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك** » .

ـ وعن أبى بكرٍ الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : عَلِّمْنِى دُعَاءً أدعو به فى صلاتى . قال : « **قل: اللهم إنِّى ظلمتُ نفسِى ظُلْمًا كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنتَ فاغفر لى مغفرةً من عندك وارحمنى ، إنك أنت الغفور الرحيم** » متفق عليه .

---

(١) الحديث رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .. ونصه : عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « الدعاء هو العبادة » .

(٢) والآية نصها : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾. [سورة غافر : من الآية ٦٠] .

ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ :

« **اللهم إنّى أسألكَ مُوجبَاتِ رحمتِكَ ، وعزائِم مغفرتِكَ، والسّلامةَ من كُلِّ إثمٍ ، والغنيمةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، والفوزَ بالجنّةِ ، والنجاة من النارِ** »

رواه الحاكم أبو عبد الله ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم .

ـ وفى الختام .. أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منا دُعاءنا .. وأن يجعل ما وقفنا عليه ـ فى موضوعنا ـ من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية .. حُجَّة لنا لا علينا .. حتى نكون ـ إن شاء الله تعالى ـ من أهل الرحمة .. بل ، وحتى نكون قد اقتدينا بنبيِّ الرحمة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .. اللهم آمين .

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى

******

***

openkandl.com

مراجع الكتاب

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبى ـ طبعة دارالشعب .

٣ ـ مختصر تفسير الطبرى ، اختصار وتحقيق الشيخ محمد على الصابونى ، والدكتور صالح أحمد رضا ـ طبعة دار التراث العربى ـ القاهرة .

٤ ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (للمنذرى) ، ضبط أحاديثه وعلق عليه فضيلة الشيخ الجليل محمد خليل الهراس ـ رحمه الله. الناشر : مكتبة الجمهورية العربية ـ بالقاهرة .

٥ ـ رياض الصالحين ، للإمام النووى ـ أوضح معانى حديثه الأستاذ مصطفى محمد عمارة ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ بالقاهرة .

٦ ـ الدين الخالص ، للإمام الشيخ محمود خطاب السبكى ـ رحمه الله تعالى ـ عنى بتحقيقه وتصحيحه والتعليق عليه: فضيلة الشيخ أمين محمود خطاب السبكى ـ رحمه الله تعالى .

٧ ـ فقه السيرة ، لفضيلة الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ طبعة دار الكتب الحديثة ـ بالقاهرة .

٨ ـ مفتاح الخطابة والوعظ .

٩ ـ حاشية الصاوى على الجلالين .

١٠ ـ مختار الصحاح .

١١ ـ القول المبين فى سيرة سيد المرسلين ، للدكتور محمد الطيب النجار ـ عليه رحمة الله.

١٢ ـ (خلفاء الرسول ﷺ) ، للأستاذ خالد محمد خالد ـ عليه رحمة الله ـ طبعة دار الفكر .

١٣ ـ العظات البالغات ، لفضيلة الشيخ عبد الناصر فاضل على ـ عليه رحمة الله .

١٤ ـ الإبداع فى مضار الابتداع ، للشيخ على محفوظ ، رحمه الله .

١٥ ـ الفقه الواضح ، للأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل .